الفصل الأول

الدّين وشئون الحياة

● **مدخـــل :**

الاسلام دين المرسلين والنبيين جميعا ، من لدن آدم حتى الرسالة المحمدية التى بها ختم الله ــ سبحانه ــ الرسالات • وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى تأكيدا تاما • • فذكر على لسان نوح قوله :

« •• **وأمرت أن أكون من المسلمين** » (يونس : ٧٢)

وعلى لسان ابراهيم واسماعيل :

« **ربنـــا واجعلنا مسلمين لك** •• » (البقرة : ١٢٨)

وفى وصية يعقوب لأولاده :

« •• **ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون** »
(البقرة : ١٣٢)

وعن موسى عليه السلام :

« •• **فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين** » • (يونس : ٨٤)

وعن يوسف عليه السلام :

« •• **توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين** » •
(يوسف : ١٠١)

وعن حواريى عيسى :

« •• **آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون** » •
(آل عمران : ٥٢)

وقوله تعالى :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » • (الشورى : ١٣)

والاسلام فى الأصل معناه « الاستسلام » لله فى أمره ونهيه على لسان الوحى ، فمن أسلم وجهه وقلبه لله فى كل أمر فهو المسلم حقا • ولما كان النبيون والمرسلون أكثر الناس استسلاما لله ، فقد كانوا بذلك أول المسلمين •• قال تعالى فى كتابه الكريم :

● **« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين • لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »** •

(الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣)

● **« •• قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين »** •

(الأعراف : ١٤٣)

والاسلام الذى دعا اليه رسول الله ﷺ يعرف من الكتاب والسنة المحمدية ، وهو هداية كاملة للانسان • فان الله عز وجل جعله كاملا شاملا ، بحيث لا تبقى قضية من قضايا الوجود الا وقد بين حكمها فيه اباحة أو حرمة ، أو وجوبا ، أو فريضة •• سواء فى ذلك شئون العقيدة ، أو العبادة ، أو السياسة ، أو الاجتماع ، أو الاقتصاد ، أو الحرب ، أو السلم ، الى آخر ما يتصوره الانسان من شئون الحياة •

قال تعالى فى وصف كتابه الكريم :

« •• ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء •• »

(النحل : ٨٩)

« •• وتفصيلا لكل شىء •• » (الأعراف : ١٤٥)

اذن فالاسلام أساس وبناء •• فالأساس هو الأركان ، والبناء هو أحكام الاسلام فى قضايا البشر • انك تجد اذا درست الاسلام ، أن

للاسلام منهاجه السياسى المستقل ، حيث ترى فيه نظرة الاسلام المنفردة الى موضـــوع الأمة ، والوطن ، ونظـــام الحكم ، وطريقة الشـــورى ، والقضاء ، والأجهزة التنفيذية ، والتقسيمات الادارية ، وما أشبه .

ـــ واذا درست الاسلام وجدت أن له منهاجه الاجتماعى المستقل .. حيث ترى فيه نظرة الاسلام المتميزة الى الانسان عامـــة ، والى الرجل ، والى المرأة ، والى تنظيم الأسرة ، والحياة الاجتماعية ومفاهيمها ، الى آخر ذلك .

ـــ واذا درست الاسلام وجدت أن له منهاجه الأخلاقى المستقل .. حيث تجد طريقا أخلاقيا واضحا شاملا متكاملا راقيا واقعيا ، لم يبق فيه جانب من جوانب الحياة الا وقد أرشـــدك فيه على أنظف سلوك وأطهره .

ـــ واذا درست الاسلام وجدت أن له منهاجه التعليمى المستقل الذى يعمر الدنيا ولا ينسى الآخرة ، ورأيت جوانب هذا المنهاج متكاملة لا نقص فيها ولا عوج ولا افراط فيها ولا تفريط .

ـــ واذا درست الاســـلام وجدت أن له منهاجه العســـكرى فى الأهداف والتطلعات والتعبئة والتنفيذ والتدريب والأسس والقواعـــد والمفاهيم .

ـــ واذا درست الاسلام وجدت أن له منهاجه الاقتصادى المستقل ، سواء فى ذلك تنظيمه المستقل لقضية الملكية أو لخزينة الدولة ، أو لحل المشاكل الاقتصادية الاجتماعية أو العلاقات الاقتصـــادية بين دولته وبقية الدول .

وهكذا لا نجد قضية من قضايا الوجود البشرى وشئون الحياة الدنيا الا وللاسلام فيها حكم ، ومجموع هذه الأحكام هى بناء الاسلام الذى تقوم دعائمه فوق أركانه[1] .

* * *

(١) سعيد حوى ، **الاسلام « ج ١ »** . (القاهرة : مكتبة وهبـــة ، ١٩٧٧) ، ص ٣ ـــ ٨ .

الحكومـــة الاســـلامية

لابد للاســـلام من حكومة تقيمه وترعاه وتحميه ٠٠ فالحكومـــة الاسلامية ضرورية للحفاظ على العقيـــدة وحمايتها من عبث العابثين ، وخروج المارقين ، وزندقة الزنادقة ٠٠ والحكومة ضرورية من أجل اقامة العبادات ، فالكسالى عن الصلاة يؤدبون ، والممتنعون عن الزكاة يعزرون ، وتاركو الصـــيام يعاقبون ، والمقصرون عن الحج وهـــو باستطاعتهم يزجرون ٠

والحكومة الاسلامية ضرورية لحفظ الأرواح ، قال تعالى :

« ٠٠ **كتب عليكم القصاص فى القتلى ٠٠** » (البقرة : ١٧٨)

« **ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون** » ٠ (البقرة : ١٧٩)

والحكومة ضرورية لحفظ الأعراض ، قال تعالى :

« **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ٠٠** » (النور : ٢)

« **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ٠٠** » (النور : ٤)

والحكومة ضرورية لاقامة الجهاد ، قال تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظـــة ٠ ٠** » (التوبة : ١٢٣)

والحكومة ضرورية لحفظ الأموال ، قال تعالى :

« **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ٠٠** » (البقرة : ١٨٨)

والحكومة ضرورية لاقامة ما يلزم المســـلمين من تعليم وتربية ، واقامة كل أنظمة الاسلام السياسية ، والاجتماعيـــة ، والاقتصادية ، والأخلاقية ، والثقافية ، والعسكرية ٠

والحكومة ضرورية من أجل اعلاء كلمة الاله .. فاذا لم يكن للاسلام حكومة ترعاه وتحميه وتطبق مبادئه يكـون ضعيفا ، والنفوس تحب الانطلاق والانفلات الى طريق الهوى والشهوات ، قال تعالى :

« ولو اتبع الحق أهـواءهم لفسدت السـموات والأرض ومن فيهن . » (المؤمنون : ٧١)

والأساس الذى تقـوم عليه الحكومة الاسلامية هـو الالتزام بشريعة الله ، وانبثاقها عن ارادة المسلمين ، وتنفيذها لأحكام الله ، وقضاؤها على نوازع الهـوى المخالف للشريعة الاسلامية ، وصـلاح أفرادها فى أنفسهم .

والحكومة الاسلامية حكومة فريدة فى نوعها ، لأن المعانى التى تقوم عليها فريدة . . فللاسلام نظرته الخاصة فى موضوع الأمـة والوطن ، وتنظيم الدولة مدنيا وعسكريا . كما أن للاسـلام سياسته الاقتصادية ، والعسكرية ، والتشريعية ، والثقافية المنفردة المتميزة[٢] .

* * *

الأمـة الاسـلامية

يقول تعالى فى محكم كتابه الكريم :

« ان هذه أمتكم أمـة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

(الأنبياء : ٩٢)

ان مظاهر وحدة الأمة الاسلامية مظاهر كثيرة ومتشابكة لا مثيل لها ، ويرتبط المسلمون بهـذه المعانى ارتباطا يشكل وحـدة تقوم على عوامل كل منها يؤكد الآخر ، حتى يصل الأمر الى حد الانصهار الكامل ، وهذه أهم مظاهر هذه الوحدة[٣] :

---

(٢) سعيد حوى ، **المرجع السابق** ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ — ١٠٦ .
(٣) سعيد حوى ، **المرجع السابق** ، جـ ٢ ، ص ١٠٨ — ١١٢ .

١ — وحـــدة العقيدة :

ان شهادة « لا اله الا الله محمد رسول الله » هى أصل وحـــدة المسلمين ، متى ذكرها الانسان وقالها مخلصا كان من أمة المسلمين ، وما دام خارج دائرتها فليس منها • انه متى أسلم الانسان وجهه لله ، على طريق رسول الله ﷺ ، فقد تحقق بالعبودية لله ، وتحرر من رق ما سواه • واذا كان الله واحدا ، فقد وحدت العبودية له قلوب المسلمين من كل لون وجنس •

ان عقيدة الاسلام عقيدة ربانية ، مستفادة من كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه •• من القرآن الكريم الذى أرسى دعائمها ووضـــع معالمها ، ومن صحيح السنة المبينة للقرآن • وليست هذه العقائد من وضع مجمع من المجامع ، ولا من اضافة هيئة من الهيئات ، وليس لأحد من أئمة الاسلام وفقهائه أن يغـــير أو يبدل فى عقيدة الاسلام بالزيادة أو النقص أو التحوير • وليس لمؤتمر أو لمجمع ولا لجماعة أيا كانت مكانتها أن تضيف شيئا الى العقيدة الاسلامية أو تحذف منها شيئا • ان مصدر العقيدة الاسلامية هو الوحى الالهى • والعقيدة قضايا صادقة أو حقائق عن الوجود ورب الوجود ، فهى خبر عن القضايا الكبرى فى الوجود •• عن الله وأسمائه وصفاته ، عن عالم الغيب ، عن مستقبل الحياة والانسان ، عن الثواب والعقاب بأنواعـــه وصوره ، وغير ذلك مما وراء الطبيعة مما لا يدركه الحس ولا يهدى الى تفصيله العقل • قال تعالى :

« اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء •• » •
(الأعراف : ٣)

ويقول القرآن الكريم أيضا منكرا على المشركين معتقداتهم فى الملائكة وغيرها :

« وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ، أشهدوا خلقهم ، ستكتب شهادتهم ويسئلون •• » (الزخرف : ١٩)

« ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم .. »
(الكهف : ٥١)

« يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما .. »
(طه : ١١٠)

* * *

٢ ـ وحـــدة العبادة :

قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » .
(الذاريات : ٥٦)

لقد خلقنا لنعبد الله مخلصين له الدين . فلا يتحقق الايمان بالله ـ سبحانه ـ شعوريا وعمليا الا بالعبادة ، ولا تقوم انسانية الانسان الا بها . والعبادة التى فرضت على المسلمين جميعا ، واحدة ، يطالب بها كل فرد .. ان فى العبادات الإسلامية معانى كثيرة ، تزيد وحدة الأمة الاســـلامية قوة ومتانة وصلابة .. فوحـــدة القبلة حيث تلتقى قلوب المسلمين كل يوم خمس مرات على الأقل متجهة الى مركز واحد ترتبط عنده ، أمر له أثر كبير حتى يشعر المسلم أنه مرتبط ببقية المسلمين . وصوم شهر واحد فى العام يشارك فيه كل مسلم أخاه فى نوع واحد من الحياة ومن السلوك ، له أثر كبير عميق فى توكيد أخوة الاســـلام والايمان . وفى الحج يلتقى المسلمون جميعاً فى أطهر بقعة على وجـــه الأرض ، يقيمون شعائر الحج ، وينصهرون فى بوتقة الأمة الاسلامية .

والعبادات الاسلامية عبادات ربانية .. فالوحى الالهى رســـم صورها ، وحدد أشكالها وأركانها وشروطها ، وعين زمانها فيما يشترط فيه الزمان ، ومكانها فيما يشترط فيه المكان . ولقد جاء الاسلام فى مجال العبادة بأصلين كبيرين ، لا يتساهل فى واحد منهما قيد شعرة :

الأول : ألا يعبد الا الله . . فلا عبادة لأحد سواه ، ولا لشىء سواه كائنا ما كان ، فى الأرض أو فى السماء . قال تعالى :

« اياك نعبـــد واياك نستعين » . (الفاتحة : ٥)

والثاني : ألا يعبد الله الا بما شرعه ، وما شرعـــه انما يعرف بواسطة رسله المبلغين عنه ، وخاتمهم محمد ﷺ الذى نسخ شرعه كل شرع قبله ، والذى كتب الله له الخلود وتكفل بحفظه الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، قال تعالى :

« ان الدين عند الله الاسلام ٠٠ » (آل عمران : ١٩)

« ٠٠ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاســـلام دينا ٠٠ » (المائدة : ٣)

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ٠٠ »

(آل عمران : ٨٥)

وما عدا ذلك فهو أهواء وبدع مرفوضة ، وان دفع اليها حسن النية وشدة الرغبة فى زيادة التقرب الى الله جل شأنه ٠ ولكن النية الصالحة وحدها لا تعطى العمل صفة القبول ما لم تكن صورته مشروعة بالنص الثابت ٠ فالعمل المقبول له ركنان : أن يكون خالصا لله ، وأن يكون على سنة رسول الله ٠ أما محدثات العصور ، ومبتدعات العقول ، فلا مكان لها فى دين الله ، قال تعالى :

« أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ٠٠ »

(الشورى : ٢١)

وفى الحديث النبوى الشريف : « اياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ٠

(رواه أبو داوود والترمذى)

* * *

٣ ــ وحـــدة السلوك :

لقد أمر الله تعالى المسلمين أن يقتدوا برسول الله ﷺ فى طيب شمائله وعريق خلاله ، فقال تعالى :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ٠ (الأحزاب : ٢١)

كان رسول الله ﷺ يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم ، من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه .. يتفقد أصحابه ، ويعطى كل جلسائه نصيبه . ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول . ولقد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا ، وصاروا عنده فى الحق سواء .. وكان دائم البشر ، سهل الطبع ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، يتغافل عما لا يشتهى ، ولا يقنط منه .. وكان يخالط أصحابه ويمازحهم ويجاريهم ، ويلاعب صبيانهم . ويجيب دعوة الحر والعبد والمسكين ، ويعود المرضى ، ويقبل عذر المعتذر . وكان يصل ذوى رحمه ، من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم .. وكان عليه الصلاة والسلام كثير السكوت ، لا يتكلم فى غير حاجة . وكان ضحكه تبسما ، وكلامه فصلا . ومجلسه كان مجلس خير وحلم وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ولا تخدش فيه الحرم . واذا مشى كان مشيه مجتمعا ، يعرف فى مشيه أنه غير ضجر ولا كسلان (٤) .

والآداب والأخلاق الاسلامية آداب ربانية .. بمعنى أن الوحى الالهى هو الذى وضع أصولها ، وحدد أساسياتها ، التى لا بد منها لبيان معالم الشخصية الاسلامية ، حتى تبدو متكاملة متماسكة متميزة فى مظهرها ومخبرها . ولا غرو أن وجدنا القرآن الكريم ذاته يعنى برسم المعالم الرئيسية لأدب المسلم وخلق المسلم .. من الاحسان بالوالدين وخاصة اذا بلغ أحدهما أو كلاهما الكبر ، والاحسان بذوى القربى ، ورعاية اليتيم ، وابن السبيل ، واكرام الجار ، والعناية بالفقراء والمساكين ، والصدق فى القول ، والاخلاص فى العمل ، وغض الأبصار ، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ، والدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وأداء الأمانات الى أهلها ، والحكم بين الناس بالعدل ، والوفاء بالعهود ، وترك المنكرات ، واجتناب الموبقات من

---

(٤) سيد عبد الحميد مرسى ، **الدين المعاملة** . (جدة : ادارة تدريب التسويق ، الخطوط الجوية العربية السعودية ، ١٩٨٥) ، ص ٣ .

الشرك والقتل والزنا والسكر والربا ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات المؤمنات ، وغيرها من كبائر الاثم ، والفواحش ، الى غير ذلك من الأخلاق الايجابية والسلبية ، الفردية والاجتماعية . حتى أننا نجد القرآن يعلم المسلمين أدب المشى ، قال تعالى :

- « **واقصد فى مشيك ..** » (لقمان : ١٩)
- « **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ..** » (الفرقان : ٦٣)
- « **ولا تمش فى الأرض مرحا ، انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا** » . (الاسراء : ٣٧)

ويعلم المسلمين أدب التزاور عندما يتزاورون ، قال تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ، هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم** » . (النور : ٢٧ — ٢٨)

وعلمهم أدب الجلوس اذا تجالسوا ، قال تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ، واذا قيل انشزوا فانشزوا ، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير** » .

(المجادلة : ١١)

هذا فضلا عما زخرت به السنة من آيات عديدة (٥) ..

* * *

٤ — وحدة المشاعر والتصورات والأفكار :

ان طريق المسلمين فى حياة واضحة متميزة ، هى طريق النبيين . قال تعالى فى كتابه الكريم :

« **أهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** » . (الفاتحة : ٦ — ٧)

---

(٥) يوسف القرضاوى ، **الخصائص العامة للاسلام** (ط ٢) . (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨١) ، ص ٣٩ — ٤٠ .

وعن رسول الله ﷺ : « تركتكم على الجادة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وان صلى وصام وزعم أنه مسلم »[٦] .

وكما أن للأمة الاسلامية طريقها المتميز ، فان لها فكرها المنفرد ، اذ أن أفكارها ومفاهيمها كلها مقيدة بكتاب الله ، يقول تعالى :

« قد جاءكم بصائر من ربكم .. » (الأنعام : ١٠٤)

« هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » .

(الجاثية : ٢٠)

وعلى هذا فان تصورات المسلمين وأفكارهم كلها تنبع من أن القرآن هو البصيرة التى يرون بها الأمور . ان مشاعر الأمة الاسلامية واحدة ، وللنفس البشرية حالات صحة هى مجموع الصفات الطيبة للنفس ، فرضها الاسلام على المسلم ، فهذه أولى حالات التقاء الشعور . ويرتقى هذا المعنى عند المسلم بترقى عواطفه وانفعالاته الاسلامية ، فكلما ارتفعت عواطف المسلمين كلما تلاقت ، وكلما ازداد تأثرهم بالاسلام كلما ازدادت مشاعرهم تلاقيا .

* * *

٥ ــ وحدة التاريخ واللغة :

ان تاريخ المسلم لا يرتبط بطين الوطن ، ولا بلغة الجنس الذى ينتسب اليه .. ان تاريخ المسلم الذى ينتسب اليه ويعتز به هو تاريخ الاسلام ، ودعاته رسل الله عليهم الصلاة والسلام . ان العربى لا يربطه بتاريخ الجاهلية أى رباط تقوم عليه نتائج من الولاء أو الاعتزاز أو الفخر ، بل يفتخر بالاسلام ويخجل مما سواه ، وكل مسلم موقفه هذا الموقف .

ان تاريخ المسلم هو تاريخ الأمة الاسلامية ، أى تاريخ الرسل ،

---

(٦) سعيد حوى ، **الاسلام** ، ج ٢ ، ص ١١١ .

وهذا شيء يملأ المسلم عزة وكرامة ، اذ ليس له مع الشر صلات أو وشائج ، وهذه عقيدته التى يلقى الله عليها ، قال تعالى :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون • فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما هم فى شقاق ، فسيكفيكهم الله ، وهو السميع العليم » • (البقرة : ١٣٦ — ١٣٧)

ان أى اعتزاز من جانب المسلم بوشائج غير وشائج الاسلام يخرجه عن روح الاسلام • قال تعالى :

« سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض » •

(الأعراف : ١٤٦)

وقال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : العز ازارى ، والكبرياء ردائى ، فمن ينازعنى عذبته » • (رواه مسلم)

وقال عليه الصلاة والسلام : « اذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادى : ألا انى جعلت نسبا ، وجعلتم نسبا • فجعلت أكرمكم أتقاكم ، فأبيتم الا أن تقولوا : فلان ابن فلان • فاليوم أرفع نسبى وأضع أنسابكم » • (رواه البيهقى)

وهذا تأكيد لقوله تعالى :

« فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون • فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون • ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون » •

(المؤمنون : ١٠١ — ١٠٣)

ان الاسلام عقيدة وعبادة وسلوك ، واللغة انما هى تعبير عن هذه المعانى ، فهى وسيلة لا غاية ، لذلك أرسل كل نبى بلغة قومه ، قال تعالى :

« وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم •• »

(ابراهيم : ٤)

وقد ذكر الله تعالى فى القـرآن أن من آياته التى تدل عليـه اختلاف الألسنة والألوان :

« ومن آياته خلق السـموات والأرض واختـلاف ألسـنتكم وألوانكم .. » . (الروم : ٢٢)

فشىء عادى اذن تعدد اللغات .. غير أن الاسلام والقرآن كانا بلغة العرب فى رسالة محمد ﷺ ، وكون العالم مكلفا بهـذه الرسالة ولا تفهم هذه الرسالة الا بفهم اللغة العربية .. كان من المنطقى أن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية للأمة الاسلامية خاصة ، اذ أنهـا وحدها التى استجابت لدعوة الله . يقول الامام الشافعى : « ان الله تعالى فرض على جميع الأمم تعلم اللسـان العربى بالتبع لمخاطبتهم بالقرآن والتعبد له »[٧] . ولا يعنى كون اللغـة العربية هى اللغـة الرسمية للأمة الاسلامية افناء بقية اللغات .. بل لابد للأمة الاسلامية من لغة مشتركة تتفاهم بها ، وليس معقولا أن تكون هذه اللغة غـير العربية ، فهى لغة عبادتهم .

* * *

٦ ــ وحدة الدستور والقانون والقيادة :

ان منبع الدستور والقانون للأمة الاسلامية هو القرآن والسنة ، ولا يجوز أن يكون للمسلمين قانون يخالف شرع الله .. فعلى هـذا يكون للمسلمين قانون معاملات واحد ، وقانون جنائى واحد ، وقانون للأحوال الشخصية واحد ، وقانون دولى واحد . وقد يختلف فى فهم نصوص الكتاب والسنة المجتهدون ، الا أن من قواعد التشريع الاسلامى أن خليفة المسلمين بالتعاون مع مجلس الشورى يحق له أن يرجح فهما اجتهاديا على غيره ، ويكون لهذا الترجيح قوة القانون ، وبذلك يكـون للأمة الاسلامية تشريع دستورى وقانونى واحد[٨] .

ان هذه القوانين شاملة لمختلف نواحى الحياة ، وتستهدف توفير

---

(٧) سعيد حوى ، **الاسلام** ، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

(٨) **المرجع السابق** ، ص ١١١ .

الكرامة والسعادة والسلام للناس جميعا ، على أســاس من التراحم ومراقبة الله فى السر والعلن ، قال تعالى :

● « ·· قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين · يهدى به الله من اتبع رضــوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمــات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » · (المائدة : ١٥ — ١٦)

● « ·· ومن يتق الله يجعــل له مخرجا · ويرزقــه من حيث لا يحتسب ·· » · (الطلاق : ٢ — ٣)

● « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » · (الاسراء : ٧٠)

● « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ·· » · (طه : ١٢٤)

وبذلك كانت القوانين فى الاسلام تدور حول الحقوق الأساسية الضرورية لكل انسان والتى لا تكتمل سعادته الا بها وهى : حق الحياة ، وحق العقيدة ، وحق العــلم ، وحق العمل ، وحق الكرامة · وهــذا ما أجمع عليه فقهاء الاسلام حين قالوا : « ان مقاصــد الشريعة حفظ الضروريات الخمس : الدين والعقل والنفس والمال والعرض »[٩] ·

ان الأمة الاسلامية لها قائد واحد فى الأصل ، هو رسول الله ﷺ الذى له على المسلمين فرض الطاعة · وعندما أدى الرسول رسالته وانتقل ﷺ الى الرفيق الأعلى كان على المسلمين أن يختاروا خليفة له ، يقيم شريعة الله ، ويقود المسلمين لاستكمال نشرها ، ويسوس المسلمين بها · وطاعته فى حدود الشريعة فريضة ، فعلى كل مسلم فى العالم أن يعطيه ولاءه وطاعته · ولا يجوز بحال من الأحوال أن يبقى المسلمون بلا خليفة وامام ، فوجوده رمز وحدتهم ، ووحــدتهم رمز قوتهم ، وقوتهم هى سبيلهم لفرض سلطان الله على الأرض واصلاح فسادها ·

---

(٩) عز الدين بليق ، **منهاج الصالحين من احاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين** . (بيروت : دار الفتح ، ١٩٧٨) ، ص ٦٤ — ٦٥ ·

وبعد .. بهذا كله .. بوحدة العقيدة ، والعبـادة ، والسلوك ، والتشريع ، والتاريخ ، واللغة ، والقيادة ، تقوم وحدة الأمة الاسلامية أمتن ما تكون وأعظم وأقوى . فالمسلمون أمة واحدة أبناؤها اخوة ، وولاؤهم بعضهم لبعض ، جسد واحد وروح واحدة . قال تعالى :

● **« انما المؤمنون اخوة .. »** . (الحجرات : ١٠)

● **« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .. »** .
(التوبة : ٧١)

● **« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شـعوبا وقبائل لتعارفوا .. »** . (الحجرات : ١٣)

ومن الحديث النبوى الشريف :

« مثـل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسـد الواحـد ، اذا اشتكى منه عضـو تداعى له سائر الأعضـاء بالحمى والسهر » . (رواه البخارى)

* * *

المجتمع الاســـلامى

الجماعة المسلمة هى الأفراد جميعا فى صلات بعضهم ببعض ، ووجودهم كحقيقة مستمد من وجود الأفراد كحقائق قائمة . ولم يعرف القرآن الكريم فى أوامره ونواهيه ، وفى وصاياه العامة ، الجماعـة المسلمة بعيدة عن المؤمنين أنفسهم . . بعيدة عن ذواتهم وأشخاصهم . يقول الله تعالى :

« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور .. » .
(البقرة : ٢٥٧)

ولا شك أنه يقصـد بالولاية هنا ــ التى تعنى التولى والتدبير والحماية ــ الجماعة المؤمنة ، ولكنه فى اعلانه هذه الولاية أعلنها لهذه الجماعة فى أفرادها بصيغة الجمع وهم الذين آمنوا . وكذلك عندما يوجه

أمرا أو نهيا عاما يوجهه الى المؤمنين فى صيغة الجمع ، كما فى قوله تعالى :

« وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا .. » . (النحل : ٩١)

وكذلك الشأن عندما يخبر عن حال عامة ، يخبر عنها مسندة الى الأفراد مجتمعين ، كما فى قوله تعالى :

« والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا » . (الأحزاب : ٥٨)

واذا كانت الجماعة المسلمة هى الأفراد بعينهم وأشخاصهم — كانت علاقة الفرد بالجماعة ، هى نفسها علاقة فرد ببقية الأفراد الآخرين معه . فالفرد لم يلغ اذن ، وهو باق بكيانه الشخصى المستقل ، ووجوده كفرد وكوحدة مستقلة لم يمس ، وكل ما وجد له من الجماعة التى هو عضو فيها — أنه قد أضيفت اليه اعتبارات خاصة بحكم هذه الجماعة ، وهى اعتبارات الروابط المتبادلة بين كل فرد والآخرين معه فى الجماعة . وهى اعتبارات الواجبات التى تؤدى من قبل الفرد نحو الآخرين معه ، والحقوق التى تعطى له من هؤلاء الآخرين معه . وعلى ذلك فالفرد جزء هام من كيان الجماعة ، ليس استقلاله فى التصرف استقلالا مطلقاً ، وليست حريته مستقلة عن كيان الجماعة .

والفرد مع الأفراد الآخرين ، أو الفرد مع الجماعة — من وجهة نظر الاسلام — وحدة تتفاعل مع غيرها ، تأخذ وتعطى ، لها استقلال مقيد ، وحرية مقيدة . والفواصل التى تحدد استقلال الفرد فى الجماعة المسلمة فى التصرف والتملك على السواء هى الفواصل التى بين الحلال والحرام . والحلال بين والحرام بين . فالحلال هو ما يمثل النفع الفردى أو النفع العام ، وهو نفع الآخرين مع الفرد فى الجماعة . والحرام عكس ذلك ، فهو يمثل الضرر الفردى أو الضرر العام ، وهو ضرر الآخرين مع الفرد فى الجماعة . وعلى ذلك فالفرد محدود بحدود علاقته بالآخرين .. فان تجاوز فى تصرفه وتملكه دائرة النفع ، فتصرفه وتملكه عندئذ غير مشروع . وحينئذ يجب أن يرد الفرد الى دائرة النفع ،

ويحال بينه وبين الاضرار بالآخرين اضرارا ماديا أو أدبيا • وهنا يأتى دور الحكومة والولاية العامة • وقد أوجب الاسلام على المؤمنين طاعة رسالته ، كما أوجب الاحتكام اليها عند النزاع والاختلاف[١٠] قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » • (النساء : ٥٩)

* * *

● **وحدة الجماعة :**

كل منا قد انتمى فى وقت أو آخر الى احدى الجماعات الخاملة ، كما أننا خبرنا بالمثل عضوية جماعات ذات أهداف واضحة ووسائل فعالة لتحقيق هذه الأهداف • ويلمس الناس عادة هذه السمة من سمات عمل الجماعة ؛ فاذا كان للجماعة أهداف واضحة وكانت تسعى لتحقيق هذه الأهداف ، ازداد عادة الرضا الشخصى للأعضاء وارتفعت روحهم المعنوية •

واننا فى الغالب نحتاج الى معرفة العوامل التى تحدد فاعلية الجماعة ، وما يساعدنا على تدعيم وحدة الهدف فى الجماعة ويجعلها أكثر قدرة على تحقيق أهدافها • ويمكن تحديد العوامل المؤدية الى فاعلية الجماعة فى العناصر التالية :

١ — درجة وجود هدف واضح •

٢ — درجة نجاح الهدف الجماعى فى تعبئة طاقات الأعضاء للقيام بالنشاط الجمعى •

٣ — درجة الصراع بين الأعضاء فيما يختص بالهدف الذى ينبغى أن يوجه نواحى نشاط الجماعة •

---

(١٠) محمد البهى ، **الاسلام فى حياة المسلم** . (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٣) ، ص ٢٤٦ — ٢٤٨ .

٤ ــ درجة الصراع بين الأعضاء فيما يختص بالوسائل التى يجب أن تستخدمها الجماعة للوصول الى أهدافها .

٥ ــ درجة التنسيق بين أوجه نشاط مختلف الأعضاء على النحو الذى تستلزمه أعمال الجماعة .

٦ ــ مدى حصول الجماعة على الموارد المطلوبة ، سواء أكانت اقتصادية أو ثقافية أو غير ذلك[١١] .

* * *

● **الجماعة الاسلامية ذات هدف موحد :**

ان الجماعة لا تكون جماعة الا اذا اتحدت على هدف ، وتمثلت صورة هذا الهدف فى نفس كل فرد من أفرادها تمثلا واضحا . . وبظهور الاسلام قامت الجماعة الاسلامية ، فأى شىء وحد هذه الجماعة ؟ أى هدف التف حوله ومن أجله المسلمون حتى صاروا جماعة معينة ؟ وما هى ايجابية الاسلام نحو وحدة الجماعة المسلمة ؟ . . ان وحدة الهدف فى الجماعة الاسلامية هى عبادة الله الواحد ، قال تعالى فى كتابه الكريم :

« ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو ، خالق كل شىء فاعبدوه ، وهو على كل شىء وكيل » . (الأنعام : ١٠٢)

وسبيل الله هو سبيل الوحدة اذن بين المسلمين .. فالله غاية الجماعة الاسلامية ، وسبيله هو السبيل لهذه الغاية ، قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

(الصف : ١٠ ــ ١١)

السبيل الى الله ايمان وعمل .. ايمان بالله ورسوله ، وعمل بما جاء به الله ورسوله .. ايمان بالله ورسوله حتى يكون الله ورسوله أحب

---

(١١) محمد طلعت عيسى (ترجمة) ، **تنظيم وقيادة الجماعات** . (القاهرة : دار ومطابع الشعب ، ١٩٦٥) ، ص ١٣٠ ــ ١٣١

شيء لدى الفرد ، وعمل بما جاء به الله ورسوله حتى تكون الطاعة لما جاء به الله ورسوله فوق رغبات النفس واغراء المادة .

ان ايجابية الاسلام فى وحدة الجماعة عن طريق عبادة الله .. وهى ليست فحسب نصحاً للأفراد بأن يعبدوا الله ، ولكن فى حملهم على أن يترجموا هذه العبادة لله فى سلوكهم [١٢] . قال تعالى :

● **« ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان أصابه خير اطمأن به ، وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين »** . (الحج : ١١)

● **« .. ان الانسان ليطغى . أن رآه استغنى »** .

(العلق : ٦ — ٧)

● **« ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا »** . (المعارج : ١٩ — ٢١)

● **« واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله .. »** (الزمر : ٨)

● **« فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم ، بل هى فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون »** .

(الزمر : ٤٩)

وما أكثر ما تستولى شهوات النفس على الانسان فاذا هو منقاد لها ، أسير فى قيد مطالبها ، لا يرى الحياة الا فى ظل هذا الأسر الذى ألفه وركن اليه . ولم يدرك هذا الانسان أنه خليفة لله على الأرض ، وأنه بحكم هذه الخلافة هو خليفة على نفسه أولا ، وأنه حاكم على نفسه غير محكوم لها ، وأنها قوة من القوى التى وهبها الله له ، وأن عليه أن يسخرها لما فيه خيره فى دنياه وآخرته .

ان رسالة الاسلام هى رسالة توازن وانسجام بين الأفراد ، « فالتوازن » أساس تكوين الجماعة الاسلامية . . وعبادة المسلمين

---

(١٢) محمد البهى ، **الاسلام فى حياة المسلم** ، ص ٢٥٧

لله هى تنفيذ هذا التوازن والانسجام • ولا شيء أدل على التوازن من « الايثار » ، كما أنه لا شيء أدل على عدم الانسجام من « الأثرة » (الأنانية) • وما أوجبه الاسلام من عبادة وأحكام هو طريق التوازن ، وما حرمه ونهى عن فعله هو عدم الانسجام • فبين الانسان وأخيه الانسان علاقات ، فاذا سيطر الايثار — على كل منهما فى تعامله مع الآخر كانت المحبة وكان التوازن ، واذا تغلبت الأثرة فى علاقاتهما كانت الكراهية والاحتكاك والصراع وعدم الانسجام بينهما •

ان الايثار مجاهدة وجهاد • • مجاهدة فى حمل النفس على أن تدرك حق غيرها فى المشاركة فى الحياة ، وجهاد فى أن تعطى هذا الحق عمليا لغيرها بصورة فيها وفاء للوجود المشترك • فالايثار هو التغلب على تحكم النفس •• تغلب على طمعها ، وتغلب على حقدها • واذا كان الايثار مجاهدة وجهادا ، فالنفس لا تقبل عليه الا اذا كانت لها غاية تتمثلها تمثلا واضحا وتسعد بادراكها ••

وسبيل الله هو سبيل الوحدة ، وسبيل القوة ، وسبيل البقاء • ولن يصل انسان ما الى الوحدة فى نفسه وفى جماعته ، والى القوة فى نفسه وفى جماعته ، الا بالتحكم فيما تدعو اليه نفسه من نزعات ، وفيما تطلبه من عز وجاه متمثلا فى مال أو ولد ، قال تعالى :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » • (الكهف : ٤٦)

* * *

● **تماسك الجماعة :**

من المشكلات الرئيسية التى تواجه من يحاولون فهم الجماعات والعمل معها على نحو فعال ، مشكلة الوقوف على كيفية تفسير الاختلافات الكبيرة فى « دوافع التجمع » التى تميز الجماعات بعضها عن البعض الآخر •• لماذا تكون المواظبة غير منتظمة فى جماعة ما بحيث يؤدى ذلك الى موتها ببطء فى حين تظل المواظبة وأنواع النشاط وأساليب القيادة فى جماعة أخرى على مستوى عال من الانتظام ؟ ما الذى يجعل

جماعة ما تبدو صحيحة وثابتة بصورة تجعل أعضاءها يؤدون عملا شاقا ، ويبذلون فى سبيلها تضحيات كبيرة ، ويكونون أشد اقبالا على تمجيد فضائلها وابراز محاسنها ، ويبدون أكثر سعادة حينما يكونون معا ، ويكونون أسرع فى التأثير على بعضهم بعضا ، وأسرع فى الاتفاق فيما بينهم .. من أعضاء منظمة أخرى لا حياة فيها ؟ هذه الأعراض وما اليها مما نلاحظه كل يوم ، ولكن لا يزال يعوزنا تفسير كامل لطبيعة تماسك الجماعة ومصادر هذا التماسك (١٣) .

عندما نصف جماعة ما بأنها جماعة متماسكة فاننا نعنى بذلك أن تلك الجماعة يرتبط أعضاؤها بعضهم بالبعض الآخر ارتباطا وثيقا حول بعض الأمور المشتركة فيما بينهم . وترجع أهمية تماسك الجماعة الى ما يعزى اليه من حيث تهيئة الجو الملائم لنمو روح الفريق ، وزيادة الرضا بين أعضاء الجماعة ، وتنمية الروح المعنوية للأعضاء واقتناعهم بأدوارهم فى الجماعة واستمرار احتفاظهم بعضويتها فى مواجهة المعوقات الداخلية والخارجية . ويعتمد ارتباط الفرد بالجماعة بمجموعتين من العوامل :

الأولى : بعض خصائص الجماعة كأهدافها ، وتنظيمها ، ومركزها فى المجتمع المحلى .

الثانية : حاجة الشخص الى الانتماء ، والتقبل ، والأمن ، وغيرها من الأمور التى يمكن أن تكون الجماعات مجالا لتوفيرها (١٤) .

وتتعدد العوامل التى تؤثر فى تماسك الجماعة أو تفككها ، كما تتداخل بعضها مع البعض الآخر . وتتلخص هذه العوامل فى الآتى (١٥) :

---

(١٣) محمد طلعت عيسى ، **مرجع سابق** ، ص ٣٩

(١٤) سيد عبد الحميد مرسى ، **العلوم السلوكية فى مجال الادارة والانتاج** (ط ٢) . (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٤) ، ص ٢٠٦

(١٥) **المرجع السابق** ، ص ٢٠٧ — ٢١١

١ — هـدف الجماعة :

قد تتجمع الجمـاعة وتلتف حول هدف واحد أو عدة أهداف ، يتطلب كل منها توجيه بعض جهود أعضـاء الجماعة نحو تحقيقه . وكلما كان الهدف واضحا ومحددا فى المجال النفسى لأعضـاء الجماعة كلما كان ادراكهم لذلك الهدف دقيقا واضحا . ومن ناحية أخرى فان الجمـاعة — بحكم تعريفها — يجمعها أصلا هدف مشـترك فيما بين أعضائها . وما لم يجد كل عضو فى الجماعة أن تحقيق أهدافه الذاتية لا يتم الا من خلال تحقيق أهداف الجماعة ، فانه لن يبذل جهدا يذكر لتحقيق أهداف الجماعة ، ولن يشعر بانتماء قوى للجماعة ، وبالتالى فان تماسك الجمـاعة قد يتعرض لبعض العوامل التى تسـاعد على تفكك الجمـاعة .

وكلما كانت الجماعة ناجحة فى تحقيق أهدافها كلما أدى ذلك الى تماسك أعضـائها . فنجاح الجمـاعة أو فشلها يعنى ضمنا نجاحها أو فشلها فى تحقيق الأهداف الذاتية لكل عضو فيها ، مما يمثل حافزا ايجابيا أو سلبيا للتمسك بعضوية الجماعة والانتماء اليها .

٢ — درجة التجانس بين أعضاء الجماعة :

يلعب التجانس دورا أساسيا فى ايجـاد التقارب والتماسك بين أفراد الجمـاعة ، فكلما زاد التجانس زادت احتمالات التماسك فى الجماعة والعكس صحيح . ويرجع ذلك الى تزايد القدر المشترك من الأبعاد النفسية فيما بين الأعضـاء .. فحيث ان مظهر التماسك فى الجماعة هو التزامها بمعايير سلوكية معينة خلال تعامل الأفراد بعضهم مع البعض الآخر ، ولمـا كانت أنماط السلوك ومعاييره تدور أساسا حول ايمان الأعضاء بقيم مشتركة ، فان التجانس بين الأعضـاء — وهو فى أساسه التفاف الأعضـاء حول مجموعة معينة من القيم — لابد وأن يؤدى فى النهاية الى زيادة التفاهم والتماسك فيما بينهم . وتمتد احتمالات التجانس لتشـمل أبعادا مثل : الجنس ، والسن ،

والمهنة ، والثقافة ، والمستوى الاقتصادى والاجتماعى ، والميـول ، والعقيـدة .

٣ ـ مكانة الجماعة بين الجماعات الأخرى :

كلما كانت الجماعة ذات مكانة مرموقة فى نظر الجماعات الأخرى ، كلما كان الانتساب اليها يكسب الفرد مكانة خاصة نتيجة انتمائه اليها ، بما يؤدى الى توحد الفرد مع الجماعة ، وبذلك يزداد تماسك الجماعة .

٤ ـ حجم الجمـاعة :

كلما ازداد حجم الجماعة كلما قلت احتمالات التعامل والتفاعل بين أفرادها وجها لوجه . ومن المعروف أن كفاية الاتصال بين أعضـاء الجمـاعة كفيلة بزيادة التفاهم المشـترك وأدعى الى تقارب المجال الادراكى للأعضاء . ومن ناحية أخرى فان زيادة حجم الجماعة يتيح فرصة أكبر لزيادة التباعد الاجتماعى والنفسى فيما بين أعضاء الجماعة ، ومن ثم تضعف القوى التى تعمل على تماسك الجماعة وتزداد آثار القوى التى تؤدى الى التفكك .

٥ ـ درجة استقرار العضوية فى الجماعة :

المقصود بذلك هو سرعة الانضمام والانفصال فى عضوية الجماعة . فالمألوف أن يلتزم أعضاء الجماعة بمعايير وقيم معينة مشتركة الجماعة بحيث تصبح ممثلة فى معايير الفرد وقيمه الى درجة أن يعتبرها معاييره وقيمه الخاصة . ويستغرق امتصاص الفرد لهذه القيم والمعايير بعض الوقت حتى تصبح جزءا من مكونات شخصيته . فانفصال بعض قدامى الأعضاء وانضمام أعضاء جدد يعنى حاجة الجماعة لمزيد من الوقت حتى يتعلم الأعضاء الجدد تلك القيم والمعايير لتعويض الجماعة عن الأعضاء الذين انفصلوا عنها . لهذا يلاحظ أن زيادة معدل الدوران فى عضوية الجماعة يمثل تهديدا لاستمرار تماسك الجماعة ، مما يؤدى الى تفككها فى بعض الظروف .

٦ ــ نوع التعامل السائد بين الأفراد :

لمـــا كانت عضوية الفرد فى جماعة معينة تستلزم قيامه بأعباء معينة ، ولمـــا كانت الأدوار المختلفة فى الجماعة الواحدة مترابطة ، فان نوع التعامل الذى يسود فيما بين الأعضاء له أثر كبير على درجة تماسك الجماعة • فاذا كان الطابع السائد للتعامل السائد بين الأعضاء هو التنافس ، فان أثر ذلك على درجـــة تماسك الجماعة يختلف تماما عما اذا كان الطابع السائد للتعامل هو التعاون • وعلى ذلك فكثيرا ما تكون طبيعة العمل المشترك الذى تؤديه الجماعة ، وما يفرضه ذلك على نمط العلاقات السائدة بين أفرادها ، ســـببا فى زيادة التماسك أو التفكك بين الأعضـــاء ، كنتيجة طبيعيـــة لنوع العلاقات السائدة بين الأعضـــاء •

٧ ــ الضغوط الخارجيـــة :

لمـــا كان أساس تكوين الجماعة هو القيام بعمل مشترك ، ولمـــا كانت المحافظة على البقاء هى احدى الوظائف الأساسية للجماعة ، لذلك فان تعرض الجماعة لظروف أو ضغوط خارجيـــة مهددة يؤدى الى زيادة التماسك بين الأعضاء • وكلما أدرك الفرد أن اشباع حاجاته وتحقيقها مرتبط ببقاء الجماعة ، وأن بقاء الجماعة مهدد من خارجها ، كلما ازداد تماسك أعضـــاء الجماعة •

٨ ــ توافق متطلبات الجماعة مع امكانات الفرد :

لمـــا كان قيام الفرد بأعباء دوره ومتطلباته فى الجماعة يستلزم منه بذل جهـــود معينة ، فان تناسب ما يقوم به من أعباء مع قدراته وامكاناته شرط أساسى لاحتفاظه بعضوية الجماعة • وفى حالة ما اذا كانت تلك المتطلبات تشـــكل خبرات غير سارة أو عبئا ينوء الفرد عن تحمله وتعجز امكاناته عن الوفاء بها ، فان استمراره فى عضوية الجماعة يشـــعره دائما بالاحباط والفشل ولا يغريه على الاحتفاظ بعضـــوية الجمـــاعة •

٩ — مدى شعور الفرد بعدالة ما تفرضه عليه الجماعة :

تتمثل عدالة ما تفرضه الجماعة على الفرد فى ناحيتين أساسيتين : الأولى ، عدالة ما تفرضه الجماعة على العضو من أعباء بالنسبة لما تمنحه له من حوافز ، والثانية ، عدالة ما تفرضه عليه الجماعة بالنسبة لما تفرضه على غيره من الأعضاء • ففى الظروف العادية بالنسبة للفرد تزداد جاذبية الجماعة للفرد وبالتالى تمسكه بعضويتها وانتمائه اليها ، كلما ازداد احساسه بعدالة الجماعة فى هذه النواحى •

والخلاصة أن تماسك الجماعة يمكن أن يزداد كلما أتيحت فرص أفضل لاشباع حاجات الأفراد • وسوف تزداد جاذبية الجماعة كلما تمكنت من أن تهيىء لأعضائها درجة أفضل من المكانة والقبول وأن تهيىء فرص قيام علاقات تعاونية وتفاعل على درجة أعلى من الحرية • ويمكن أن يؤدى الهجوم الخارجى الى جعل الجماعة أكثر تماسكا • ومن الواضح أن التماسك لا يزداد — عندما تتعرض الجماعة للهجوم — الا اذا كانت الجماعة تعتبر مصدرا للشعور بالأمن • وعندما يظهر الجمهور الخارجى تقديرا مناسبا للجماعة فمن الواضح أنها تزداد تماسكا ، وينشأ هذا عن ادراك أعضاء الجماعة بأن العضوية تسهم فى رفع المكانة الشخصية لأعضائها ••

ويبدو أن ميزان القوى التى تؤدى الى تماسك الجماعة وتلك التى تؤدى الى تفككها فى تذبذب مستمر • وعندما يتذبذب الميزان بدرجة كبيرة فان دوران العضوية سوف يكون كبيرا ، واذا كانت فاعلية الجماعة تشجع الجانب السلبى لغالبية الأعضاء فان الجماعة سوف تتفكك دون شك •

ولقد قامت الجماعة الاسلامية على الأسس الآتية :

١ — أن تتجه عبادتها الى معبود واحد ، قال تعالى :

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا •• » • (النساء : ٣٦)

٢ — أن تبقى فى سلام مع غيرها من الجماعات الأخرى ، قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين » . (البقرة : ٢٠٨)

٣ ــ اذا هوجمت من جماعة أخرى يجب عليها ألا تستكين لهذا الهجوم :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » . (البقرة : ١٩٠)

واذا اعتدى عليها يجب أن ترد الاعتداء بمثله ، قال تعالى :

« .. فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » . (البقرة : ١٩٤)

هذه هى تعاليم الاسلام فى شأن قيام جماعة المسلمين فى علاقاتها مع الجماعات الأخرى . ان ما أتى به الاسلام فى شأن تماسك الجماعة وبقائها صلبة قوية ، ينبثق أساسا من ذات الايمان بالله ، ويعود أغلبه الى الجانب الروحى فى الانسان[١٦] .

فالايمان بالله ــ لا غيره ــ هو الذى ربط بين الفرد وأخيه فى الجماعة الاسلامية . وبناء على ذلك يجب ألا يهجر المؤمن بولائه مؤمنا آخر معه ، ويتجاوز بهذا الولاء وهذا الاخلاص الى من هو عدو لهما معا . قال تعالى فى محكم كتابه :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، والى الله المصير » . (آل عمران : ٢٨)

وتوضح هذه الآية الكريمة الى أى مدى حرص الاسلام على تماسك الجماعة الاسلامية وبقائها قوية ، بعد أن قامت وأصبحت لها شخصيتها .. ان تجارب الأيام فى تاريخ البشرية تؤكد أن العامل النفسى فى حياة الفرد والجماعة أقوى من أى عامل آخر سواه . فاذا ضعفت نفس الفرد أو ضعف الترابط النفسى بينه وبين غيره من

---

(١٦) محمد البهى ، **الاسلام فى حياة المسلم** ، ص ٢٥٩ .

أعضاء الجماعة ، كان التلاشى والفناء للفرد نفسه وكانت القطيعة والعزلة بينه وبين غيره • وعلى العكس تبرز صـــورة الوجود والحياة واضحة لمن قويت نفســـه ، وكذلك للجماعة التى قويت الصلات الروحيـــة فيما بين أفرادها •

وولاء المؤمن للمؤمن — الذى يدعو اليه القرآن الكريم هو أكثر من صلة نفسية وأكبر من شعور روحى متبادل قائم على التعاطف وعدم التنافر بين فرد وآخر • ان هـــذا الولاء هو الاخلاص فى العلاقة ، هو ايثار الصديق لصديقه ، هو الاحساس القوى بالكيان المشترك للاثنين معا •• وكل ما أتى به الاسلام فى آدابه ووصاياه الخلقية هو فى واقع الأمر ذلك الولاء الذى عبر عنـــه فى صـــورة هى تعبير عن الواقع ، أو عما يجب أن يكون ، كما فى قوله تعالى :

« **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** •• » •

(التوبة : ٧١)

وكما عبر عنه فى الآية السابقة :

« **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين** •• » •

ان الجماعة الاسلامية لم تقم بالأمس لتفنى اليوم أو غداً •• ان قيامها كان نتيجة لرسالة من الله ، وكذلك بقاؤها وتماسكها ذو صلة قوية بالايمان بالله ، قال تعالى :

« •• **ولينصرن الله من ينصره ، أن الله لقوى عزيز** » •

(الحج : ٤٠)

* * *

الشعور بالأمن والطمأنينة

سكينة النفس — بلا ريب — هى الينبوع الأول للســـعادة •• ولكن كيف السبيل اليها اذا كانت شـــيئا لا يثمره الذكاء ، ولا العلم ، ولا الصحة والقوة ، ولا المـــال والغنى ، ولا الشهرة والجاه ، ولا غير ذلك من نعم الحياة المـــادية ؟

اننا نجيب مطمئنين : أن للسكينة مصدرا واحدا — وليس سواه ، هو الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، الايمان الصادق العميق ، الذى لا يكدره شك أو يفسده قلق أو نفاق .. هـذا ما يشهد به الواقع المـاثل ، وما أيده التاريخ الحافل ، وما يلمسه كل انسان مدرك بصير .. فى نفسه وفيمن حوله .

ولقد علمتنا الحيـاة أن أكثر الناس قلقا وضيقا واضطرابا ، وشعورا بالضياع ، هم المحرومون من نعمة الايمان واليقين .. ان حياتهم لا طعم لها ولا مذاق ، وان حفلت بالملذات ، لأنهم لا يدركون لها معنى ، ولا يعرفون لها هدفا ، ولا يفقهون لها سرا . فكيف يظفرون مع هـذا بسكينة النفس أو انشراح الصدر ؟

ان هذه السكينة ثمرة من ثمار دوحة الايمان ، وشجرة التوحيد الطيبة التى « **تؤتى أكلها كل حين باذن ربها** » .. فهى نفحة من السماء ينزلها الله على قلوب المؤمنين ليثبتوا اذا اضطرب الناس ، ويرضوا اذا سخط الناس ، ويوقنوا اذا شك الناس ، ويصبروا اذا جزع الناس ، ويحلموا اذا طاش الناس .

هـذه السكينة هى التى عمرت قلب رسول الله ﷺ يوم الهجرة ، فلم يعره هم ولا حزن ، ولم يستبد به خوف ولا وجل ، ولم يخالج صدره شك ولا قلق . قال تعـالى :

« .. فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ..»
(التوبة : ٤٠)

هـذه السكينة روح من الله ونور ، يسكن اليه الخائف ، ويطمئن عنـده القلق ، ويستروح به المتعب ، ويقوى به الضعيف ، ويهتدى به الحائر .

* * *

● **أسباب السكينة لدى المؤمن :**

قد يسأل سائل : لمـاذا كان المؤمن أولى الناس بسكينة النفس وطمأنينة القلب ؟ ولمـاذا لا يجد الانسان السكينة فى العلم والثقافة

والفلسفة ، وفيما أنتجه التقدم العلمى من وسائل وأدوات يسرت العيش وجملت الحياة ؟

والجواب عن ذلك يتلخص فى النقاط الآتية[١٧] :

١ — استجابة المؤمن لنداء الفطرة :

ان أول أسباب السكينة لدى المؤمن أنه قد هدى الى فطرته التى فطره الله عليها ، وهى فطرة متسقة كل الاتساق مع فطرة الوجود الكبير كله • فعاش المؤمن مع فطرته فى سلام ووئام • ان فى فطرة الانسان فراغا لا يملؤه علم أو ثقافة أو فلسفة ، وانما يملؤه الايمان بالله جلا وعلا • وستظل الفطرة الانسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ ، حتى تجد طريقها الى الله ، وتؤمن به ، وتتوجه اليه •• هناك تستريح من تعب ، وترتوى من ظمأ ، وتأمن من خوف ، هناك تحس بالهداية بعد الحيرة ، والاستقرار بعد التخبط ، والاطمئنان بعد القلق • ولقد قال ابن القيم فى كتابه « مدارج السالكين » :

« فى القلب شعث لا يلمه الا الاقبال على الله •
وفيه وحشة لا يزيلها الا الأنس بالله •
وفيه حزن لا يذهبه الا السرور بمعرفته ، وصدق معاملته •
وفيه قلق لا يسكنه الا الاجتماع عليه ، والفرار اليه •
وفيه نيران حسرات لا يطفئها الا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ، ومعانقة الصبر على ذلك الى وقت لقائه •
وفيه فاقة لا يسدها الا محبته والانابة اليه ، ودوام ذكره ، وصدق الاخلاص له ، ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدا » •

* * *

٢ — اهتداء المؤمن الى سر وجوده :

ان فى أعماق كل انسان أصواتا خفية تناديه ، وأسئلة تلح عليه منتظرة الجواب الذى يذهب به القلق ، وتطمئن به النفس : « ما العالم ؟

---

(١٧) يوسف القرضاوى ، **الايمان والحياة** (ط ٧) . (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٠) ، ص ٧٧ — ١٠٠ .

ما الانسان ؟ من أين جاءا ؟ من صنعهما ؟ من يدبرهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ أى مستقبل ينتظرنا بعد هـذه الحياة ؟ » .. هـذه الأسئلة التى ألحت على الانسان منذ خلق ، وستظل تلح عليه الى أن تطوى صفحة الحياة ، لم تجد — ولن تجد — لها أجوبة شـافية الا فى الدين . فالدين وحده هو الذى يحل عقدة الوجود الكبرى ، وهو المرجع الوحيد الذى يستطيع أن يجيبنا عن تلك الأسئلة بما يرضى الفطرة ، ويشفى الصدور .

والاسلام — خاصة — خير دين أجاب عن هـذه الأسئلة اجابة شافية ، ترضى الفطرة النيرة والعقل السليم ، بل أعلن القرآن الكريم أن هـذا الدين هو الفطرة الأصيلة نفسها . قال تعـالى :

« فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها .. »
(الروم : ٣٠)

تقول الفطرة والعقل : ان الناس لم يخلقوا من غير شىء ، ولم يخلقوا هم أنفسهم ، ولم يخلقوا مما حولهم ، فيقول القرآن الكريم :

« أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السـموات والأرض ، بل لا يوقنون » . (الطور : ٣٥ — ٣٦)

وتقول الفطرة والعقل : لابد — اذن — من خالق لهذا الانسان العجيب ، ولهذا الكون العريض ، ولابد أن يكون هـذا الخالق واسع العلم ، بالغ الحكمة ، نافذ المشيئة ، عظيم المقدرة . يقول القرآن :

« ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا اله الا هو ، فأنى تؤفكون . كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون . الله الذى جعـل لكم الأرض قرارا والسـماء بناء وصوركم فأحسن صـوركم ورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم ، فتبارك الله رب العالمين » .
(غافر : ٦٢ — ٦٤)

وتقول الفطرة والعقل : ان هـذا الخالق الحكيم لابد أن يكون وراء تنظيمه لهذا الكون ووضع الانسان فيه غاية وحكمة ، وتعالت حكمته

أن يكون خلق هـذا كله عبثا • وأن لهذا الانسان فى الوجود رسالة ، وأن وراء هـذه الحياة الدنيا حياة أخرى هى الغاية واليها المنتهى ، يجزى فيها المحسن باحسانه والمسىء باساءته ، حتى لا يستوى الخبيث والطيب ، وهذا ما تقتضيه الحكمة • وأن لهذا الخالق العظيم — بحكم خلقه لعباده وامدادهم بنعم لا تحصى — حقا عليهم : بأن يعرف فلا يجحد ، ويشكر فلا يكفر ، ويطاع فلا يعصى ، ويفرد بالعبادة فلا يشرك به • وفى هـذا المجال يقول القرآن الكريم :

● **« وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين • ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون »** • (الدخان : ٣٨ — ٣٩)

● **« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النـار • أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار »** •

(سورة ص : ٢٧ — ٢٨)

● **« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون »** •

(المؤمنون : ١١٥)

● **« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون • الذى جعل لكم الأرض فراشا والسـماء بناء وأنزل من السـماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقات لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون »** • (البقرة : ٢١ — ٢٢)

● **« الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلمـوا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكـل شىء علما »** • (الطلاق : ١٢)

● **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون • ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون »** • (الذاريات : ٥٦ — ٥٧)

* * *

٣ — نجاة المؤمن من عذاب الحيرة والشك :

بهذا الايمان الواضح العميق ، سلم المؤمن من الشك والاضطراب ، واسـتراح من البلبلة والحيرة العقلية والنفسـية ، حين عرف مبدأه

ومصيره ، وغايته ومهمته .. بل عرف مبدأ الوجود كله وغايته وهدفه ومنتهاه ، فانحلت عقدة الشك من نفســه ، وزالت علامات الاستفهام الكبيرة من حياته .

لقد عرف أن له رباً — هو رب كل شيء — هو الذى خلقه فسواه ، وكرمه وفضله ، وجعله فى الأرض خليفة ، وكفل له رزقه ، وســخر له ما فى السموات وما فى الأرض ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة .. فاطمأن الى ربه ، واعتصم بحبله ، فأوى بهذا الايمان الى ركن شديد ، ولاذ بقرار مكين ، واستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها .

وعرف المؤمن أنه لم يخلق فى هــذه الحياة عبثا ، ولم يترك سدى ، فبعث الله اليه رسله بالبينات ، هداة ومعلمين ، ليهتدى الناس الى الحق ، ويستبينوا معالم الطريق ، ويعرفوا ما يرضى الله فيتبعوه ، وما يسخطه فيتقوه . وعرف المؤمن أنه ليس غريبا على الكون الكبير من حوله أو معزولا عنه ، انه بايمانه لم يعد وحده . ان هــذا الكون كله معه ، ففطرة هــذا الكون هى الايمان .. هى التسبيح للرب الأعلى ، الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى . قال تعــالى :

« تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، انه كان حليما غفورا » .
(الاسراء : ٤٤)

* * *

٤ — المؤمن يعيش فى معية الله وفى صحبة النبيين والصديقين :

والمؤمن لا يعتريه ذلك المرض النفسى الوبيل ، الذى يفتك بالمحرومين من الايمــان ، ذلك هو مرض الاحساس بالوحدة المقلقة ، فيحس من يتعرض له أن الدنيــا مقفلة عليه ، وأنه يعيش فريدا منعزلا ، وأى احساس أمر من هــذا الاحساس .. ويجمع المختصون على أن هــذا مرض نفسى شديد ، لمــا يجلبه على صاحبه من عزلة وفقدان للثقة بمن حوله . والايمان القوى هو دواء ناجع لهذا المرض ، كما أنه خير وقاية من شره . والمؤمن يعتقد أن الله معه حيثما كان . ان الله تعــالى يقول فى الحديث القدسى :

« أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه اذا ذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير منهم ، وان تقرب الى شبرا ، تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا ، تقربت اليه باعا . وان أتانى يمشى ، أتيته هرولة » .

(رواه البخارى)

ويقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

● **« ولله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم »** . (البقرة : ١١٥)

● **« وهو معكم أين ما كنتم ، والله بما تعملون بصير »** .

(الحديد : ٤)

● **« .. اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها .. »** . (التوبة : ٤٠)

والمؤمن لا يشعر أنه فى عزلة عن اخوانه المؤمنين . انهم يعيشون دائما فى ضميره ، ويحيون فى فكره ووجدانه .. فهو اذا صلى — ولو منفردا — تحدث باسمهم **« اياك نعبد وأياك نستعين »** ، واذا دعا كان دعاؤه باسمهم **« اهدنا الصراط المستقيم »** ، ويقول ما قال الصالحون .

« ... ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان .. » .

(الحشر : ١٠)

والمؤمن يشعر بأنه يعيش بايمانه وعمله الصالح مع الأنبياء والرسل ، ومع كل صديق وشهيد وصالح من كل أمة وفى كل عصر ، قال تعالى :

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا » .

(النساء : ٦٩)

* * *

٥ ــ الرضا واليقين :

ان شعور الانسان بالرضا من أول أسباب السكينة والأمن والاستقرار النفسى ، التى هى سر السعادة • وفى الحديث الشريف : « من سعادة المرء أستخارته ربه ، ورضاه بما قضى ، ومن شقاء المرء تركه الاستخارة وعدم رضاه بعد القضاء » • (رواه البزار)

فالرضا نعمة روحية جزيلة ، يصل اليها من قوى ايمانه بالله وحسن اتصاله به • وقد خاطب الله رسوله بقوله :

« فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى » •
(طه : ١٣٠)

وقال رسول الله ﷺ :

« ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا » • (رواه أحمد ومسلم والترمذى)

فالمؤمن يشعر بنعمة الله عليه فى كل شىء حوله ، ويرى فى كل ذرة فى الأرض أو فى السماء منحة من الله له ، تيسر له معيشته ، وتعينه على القيام برسالته فى الحياة •• انه يرى نعمة الله فى هبوب الرياح ، وسير السحاب ، وتفجر الأنهار ، وبزوغ الشمس ، وطلوع الفجر ، وضياء النهار ، وظلام الليل ، وتسخير الدواب ، وانبات النبات • قال تعالى :

● **« ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة •• »** (لقمان : ٢٠)

● **« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون • وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** •
(الجاثية : ١٢ ــ ١٣)

● **« وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه**

يأكلون • وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون • ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم ، أفلا يشكرون • سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون » •

(يس : ٣٣ — ٣٦)

● **« أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لهـا مالكون • وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون • ولهم فيها منافع ومشارب ، أفلا يشكرون » •** (يس : ٧١ — ٧٣)

● **« وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا • وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، وأنزلنا من السماء ماء طهورا • لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا » •** (الفرقان : ٤٧ — ٤٩)

وهكذا يرى المؤمن — بتوجيه كتاب الله له — آثار رحمـة الله ونعمته فى كل شىء حوله ، أما نعمة الله عليه فى شخصه فما أعظمها وما أغزرها • فأولهـا : نعمة الخلق ، وثانيها : نعمـة الانسانية ، وثالثها : نعمة العلم والادراك ، ورابعها : نعمة البيان اللفظى والخطى ، وخامسها : نعمة الرزق ، وسادسها : نعمة الايمان والهداية الى صراط الله المستقيم ، وسابعها : نعمة الأخوة والمحبة •• وهذا على سـبيل المثال لا الحصر •

وتتفق جميع المدارس الفكرية للعلاج النفسى على أن القلق هو السبب الرئيسى فى نشوء أعراض الأمراض النفسية ، ولكنها تختلف فيما بينها فى تحديد العوامل التى تسبب القلق • وتتفق هذه المدارس أيضا على أن الهدف الرئيسى للعلاج النفسى هو التخلص من القلق ، وبث الشعور بالأمن فى نفس الانسان ، ولكنها تتبع لتحقيق هذا الهدف أساليب علاجية مختلفة •

وتمدنا دراستنا لتاريخ الدين الاسلامى بأدلة عن نجاح الايمان بالله فى شفاء النفس من أمراضها ، وتحقيق الشعور بالأمن والطمأنينة

والوقاية من الشعور بالقلق وما ينشأ عنه من أمراض نفسية • ومما هو جدير بالملاحظة أن العلاج يتدخل عادة بعد حدوث الاصابة بالمرض النفسى ، أما الايمان بالله اذا ما بث فى نفس الانسان منذ نعومة أظفاره ، فانه يكسبه مناعة ووقاية من الأمراض النفسية[١٨] • وقد وصف القرآن الكريم ما يحدثه الايمان من أمن وطمأنينة فى نفس المؤمن بقوله :

● **« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »** • (الأنعام : ٨٢)

● **« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب »** • (الرعد : ٢٨)

● **« ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه ، والله بكل شىء عليم »** • (التغابن : ١١)

● **« بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »** • (البقرة : ١١٢)

● **« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون »** •
(فصلت : ٣٠)

* * *

السياسة التعليمية

ان الهدف الاستراتيجى للتربية الاسلامية العربية هو الوصول بالفرد الى الحال الذى يكون فيه مسلما فى الاعتقاد والمشاعر والسلوك ، وعربيا فى القول والاتجاه والاهتمام ، متقنا لمهنته وعمله حسب الأساليب العصرية ، خاضعا فى كل جوانب حياته للاسلام • وينبثق

---

(١٨) محمد عثمان نجاتى ، **القرآن وعلم النفس** • (القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٢) ، ص ٢٤١ — ٢٤٢

ان هذا الهدف الاستراتيجى عدة أهـداف اسلامية وعربية ، هى فى حقيقتها وسائل لتحقيقه ، وهى فى ذات الوقت تعبير عن عقيدة الاسلام وتطبيق لشريعته ، وتعبير عن خصائص العروبة وقضاياها واهتماماتها وآمالها •

ولقد فصلت دراسـة قام بها مكتب التربية العربى لدول الخليج لأهداف التعليم والأسس العامة للمناهج ، وفصلت فى أهداف اسلامية نلخصها فيما يأتى[١٩] :

١ ــ معرفة الاسلام معرفة صحيحة خالية من البدع والشوائب ، شاملة لعقيدته وشريعته وخصائصه ومميزاته •

٢ ــ الاحاطة بمبادىء العقيدة الاسـلامية على أساس الدراسة والفكر والاقناع •

٣ ــ تنمية الولاء للاسلام والاعتزاز به والعمل على تحقيق قيمه ومبادئه •

٤ ــ انماء قدرة الفرد على التفكـير السليم والاستنباط العلمى الصحيح ، بتحرره من الخرافات والأوهام والأفكار الفاسدة والتقليد الأعمى من ناحية ، وباتباعه قواعد المنهج الصحيح من ناحية أخرى •

٥ ــ انماء الفرد ماديا ومعنويا بتلبية حاجاته الروحية والبدنية وفق شريعة الاسلام التى تحقق التوازن بين الجوانب المادية والروحية وذلك بالعمل على تحقيق النمو الشـامل للفرد نفسيا وعقليا وخلقيا وجسميا واجتماعيا •

٦ ــ انماء الرغبة المعرفية الفطرية عند الأفراد ، وربط العـلم بالعمل والنظرية بالتطبيق •

٧ ــ تقوية وتدعيم الشعور الفطـرى بحب الوالدين وبرهما ، والانتماء الأسرى والوطنى فى اطار تعاليم الاسلام التى توجب أداء واجبات المسلم نحو وطنه والذود عنه •

---

(١٩) فاروق أحمد دسوقى ، **مقومات المجتمع المسلم** • (الاسكندرية دار الدعوة ، ١٩٨٤) ، ص ٨٧ ــ ٨٩ •

٨ — غرس وانمـاء روح التعاون على البر والتقـوى وأساليب التضامن والتكافل ، وتعويد الأفراد على التراحم والمودة والايثـار والتضحية •

٩ — التدريب والتعويد بالممارسة وبأداء العبادات على مجاهدة النفس ومقاومة الأهواء والشهوات ، وتأسيس ذلك على عقيدة الايمان ، وتقوية الرقابة الذاتية للفرد على أساس الايمان برقابة الله عز وجل والخشية منه •

١٠ — نشر أساليب العمل الجماعى وغرس طبيعة الطاعة والانقياد لأولى الأمر ، ودلك فى غير معصية الله عز وجل ، مع تقوية نزعة القيادة المنضبطة بشرع الله عند أصحابها •

١١ — تعميق الوعى بحقيقة الصراع الحضارى القائم فى كل آن بين حضارة الاسلام والحضارات الغربية المعاصرة بشقيها الرأسمالى والشيوعى ، وبالصهيونية واسرائيل كرأس حربة موجهة ضد الأمـة الاسلامية • ولقد قص علينا القرآن الكريم وصـايا الآباء للأبناء ، قال تعالى :

« واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم • ووصينا الانسان بوالديه حملته أمـه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير • وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون • يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ، ان الله لطيف خبير • يا بنى أقم الصـلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور • ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور • واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » • (لقمان : ١٣ — ١٩)

* * *

السياسة الاقتصادية

« الاقتصاد الاسلامى » بعبارة مبسطة هو الذى يوجه النشاط الاقتصادى وينظمه وفقا لأصول الاسلام ومبادئه الاقتصادية • ونخلص من ذلك أن الاقتصاد الاسلامى ذو شقين[٢٠] :

الأول ــ شق ثابت :

وهو خاص بالمبادىء ، وهو عبارة عن مجموعة الأصول الاقتصادية التى جاءت بها نصوص القرآن والسنة ، ليلتزم بها المسلمون فى كل زمان ومكان ، بغض النظر عن درجة التطور الاقتصادى للمجتمع وأشكال الانتاج السائدة فيه ، ومن قبيل ذلك :

(أ) أصل أن المال مال الله والبشر مستخلفون فيه ، بقوله تعالى :

- **« ولله ما فى السموات وما فى الأرض •• »**

(النجم : ٣١)

- **« •• وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه •• »**

(الحديد : ٧)

- **« •• وآتوهم من مال الله الذى آتاكم •• »**

(النور : ٣٣)

(ب) أصل ضمان حد الكفاية لكل فرد فى المجتمع الاسلامى ، بقوله تعالى :

« أرأيت الذى يكذب بالدين • فذلك الذى يدع اليتيم • ولا يحض على طعام المسكين • » (الماعون : ١ ــ ٣)

وقول رسول الله ﷺ : « من ترك ضياعا فالى وعلى » •

(رواه البخارى ومسلم)

---

(٢٠) محمد شوقى الفنجرى ، **نحو اقتصاد اسلامى** .. (جدة : عكاظ للنشر والتوزيع ، ١٩٨١) ، ص ٤٥ ــ ٥٠

(ج) أصل تحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع الاسلامى ، بقوله تعالى : « ٠٠ **كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم** ٠٠ »
(الحشر : ٧)

بمعنى أنه لا يجوز أن يكون المال متداولا بين فئة قليلة من المجتمع أو أن يستأثر بخيرات المجتمع فئة دون أخرى ٠ وقال رسول الله ﷺ : « تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » ٠
(رواه البخارى ومسلم)

(د) أصل احترام الملكية الخاصة ، بقوله تعالى :

● « ٠٠ **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** ٠٠ » (النساء : ٣٢)

● « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله** ٠٠ » (المائدة : ٣٨)

وقول رسول الله ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » ٠ (رواه مسلم)

وقوله ﷺ : « من قتل دون ماله فهوشهيد » ٠
(رواه البخارى ومسلم)

(هـ) أصل الحرية الاقتصادية المقيدة : وذلك بتحريم أوجه النشاط الاقتصادى التى تتضمن استغلالا أو احتكارا أو ربا ، بقوله تعالى : « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ٠٠» (البقرة : ١٨٨)

وقوله تعالى : « **وأحل الله البيع وحرم الربا** ٠٠ »
(البقرة : ٢٧٥)

وقول رسول الله ﷺ : « من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء » ٠ (رواه مسلم وأبو داوود والترمذى)

(و) أصل التنمية الاقتصادية الشاملة : بقوله تعالى :

● **« ٠٠ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ٠٠ »**
(هود : ٦١)

● **« ٠٠ انى جاعل فى الأرض خليفة ٠٠ »** (البقرة : ٣٠)

بمعنى أنه — سبحانه — كلفكم بعمارة الأرض ، وأنه — تعالى — جعل الانسان خليفة الله فى أرضه ، وأنه — تعالى — سخر له ما فى السموات والأرض ليستغلها وينعم بخيراتها ويسبح بحمده ، بقوله تعالى :

● **« وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ٠٠ »**
(الجاثية : ١٣)

● **« ٠٠ فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »** ٠ (الجمعة : ١٠)

ولقد بلغ من حرص الاسلام على التنمية الاقتصادية وتعمير الدنيا أن قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « اذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة (شتلة) فاستطاع ألا يقوم حتى يغرسها ، فليغرسها فله بذلك أجر » ٠ (رواه البخارى وأحمد)

(ز) أصل ترشيد الانفاق : وذلك بتحريم التبذير ، والحجر على السفهاء الذين يصرفون أموالهم على غير مقتضى العقل ، والنهى الشديد عن الترف والبذخ واعتباره جريمة فى حق المجتمع ٠ قال تعالى :

● **« ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ٠٠ »** ٠
(الاسراء : ٢٧)

● **« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ٠٠ »**
(النساء : ٥)

● **« ٠٠ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين »** ٠
(هود : ١١٦)

فالأصول الاقتصادية التى وردت بنصوص القرآن والسنة ، هى أصول الهية ، ومن ثم فانه لا يجوز الخلاف حولها ، ولا تقبل التغيير أو التبديل ، ويلتزم بها المسلمون فى كل عصر بغض النظر عن درجة

التطور الاقتصادى أو أشكال الانتاج السائدة فى المجتمع • ويلاحظ أن نصوص القرآن والسنة التى وردت فى المجال الاقتصادى جاءت عامة ، وتتعلق بالحاجات الأساسية لكل مجتمع ، ومن ثم كانت صالحة لكل زمان ومكان •

* * *

الثانى ــ شق متغير :

وهو خاص بالتطبيق •• وهو عبارة عن الأساليب والخطط العملية والحلول الاقتصادية ، التى يكشف عنها أئمة الاسلام لاحالة أصول الاسلام ومبادئه الاقتصادية الى واقع مادى يعيش المجتمع فى اطاره • ومن قبيل ذلك العمليات التى توصف بأنها ربا ، وبيان مقدار حد الكفاية أو الحد الأدنى للأجور ، واجراءات تحقيق العدالة الاجتماعية أو اعادة التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع ، وبيان مدى تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى ونطاق الملكية الخاصة والملكية العامة ، وخطط التنمية الاقتصادية •• الخ مما يتسع فيه مجال الاجتهاد وتتعدد فيه صور التطبيق ، والتى يعبر عنها على المستوى الفكرى بمصطلح « النظرية أو النظريات الاقتصادية الاسلامية » وعلى المستوى العملى باصطلاح « النظام أو النظم الاقتصادية الاسلامية » •

ونخلص من ذلك أن الاقتصاد الاسلامى « مذهب ونظام » •• « مذهب » من حيث الأصول ، و « نظام » من حيث التطبيق • وأنه ليس فى الاسلام سوى مذهب اقتصادى واحد ، هو تلك الأصول الاقتصادية التى جاءت بها نصوص القرآن والسنة • وانما فى الاسلام تطبيقات ــ أى نظم اقتصادية اسلامية مختلفة ــ كما أن فيه اجتهادات ــ أى نظريات اقتصادية اسلامية ــ متعددة ، وتختلف هذه التطبيقات أو الاجتهادات باختلاف الزمان والمكان •

* * *